عصر الدولة السعودية الأول

يبتدئ العصر الأول من سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م بعد التحالف الذى تم بين صاحب المذهب الوهابى وبين الأمير محمد بن سعود صاحب الدرعية سنة ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م كما قدمنا [١] ، وفى العام الذى توفى فيه ثنيان بن سعود فاعترف الجميع لأخيه محمد بالإمامة الدينية والزعامة السياسية المطلقة [٢] ؛ وينتهى بقضاء القائد إبراهيم باشا ابن محمد على باشا الكبير والى مصر على نفوذ الوهابيين فى الجزيرة العربية ، بعد أن استخلص منهم مدن الحجاز ونجد ، وبعد أن هدم الدرعية مقرهم وخربها سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م ، ثم أسر الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز زعيم الوهابيين وأميرهم فى ذلك العهد ، وأرسل به يصحبه بعض أفراد أسرته إلى مصر ، ثم من هناك إلى الأستانة حيث قطعت رؤوسهم ونكل بهم [٣] .

---

(١) راجع ص ٤٩ من الكتاب .

(٢) راجع ص ٣٢٧ من كتاب « قلب جزيرة العرب » لفؤاد حمزة ، وطبع المطبعة السلفية سنة ١٩٣٣ م .

(٣) وصل الأمير عبد الله بن سعود إلى القاهرة يوم الإثنين ١٧ المحرم سنة ١٢٣٤ هـ وأرسل به الى الإسكندرية يوم الأربعاء التالى ٢٩ من الشهر ليبحر من هناك إلى الأستانة كما ذكر الجبرتى فى تاريخه « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » ج ٤ ص ٣١٩ – ٣٢٠ طبعة مصر سنة ١٣٢٢ هـ ؛ راجع كذلك كتاب « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ص ١٢٧ .

فـي هـذه المرحلة الأولى من تاريخ الدولة السعودية استطاع السعوديون أن يبسطوا نفوذهم على جميع أنحاء الجزيرة العربية تقريباً ، وامتد سلطانهم من ضواحي دمشق في الشام وقلب العراق شمالا إلى رأس الخيمة في عمان وزبيد في اليمن جنوبا ، ومن سواحل الخليج الفارسي شرقا إلى سواحل البحر الأحمر غربا . وفي هذه المدة حكم من آل سعود أربعة من الأمراء ، وهم :

١ — محمد بن سعود

حكم من سنة { ١١٦٠ — ١١٧٩ هـ
١٧٤٧ — ١٧٦٥ م

وهو صاحب الفضل في تكوين الدولة السعودية الأولى وقيامها ، وفي مؤازرة محمد بن عبد الوهاب ومساعدته على نشر دعوته الدينية الإصلاحية كما بينا . ولقد قضى حياته في جهاد ونضال ، وكان عصره عصر تأسيس للدولة، تغلب فيه على الكثير من المشقات والصعاب بفضل إيمانه المكين بالدعوة ، وبما أوتي من قوة العزيمة . وكانت وفاته بالدرعية .

٢ — عبد العزيز بن محمد بن سعود

حكم من سنة { ١١٧٩ — ١٢١٨ هـ
١٧٦٥ — ١٨٠٣ م

كان مشهوراً بالعدل والتدين والحزم ؛ وفي عهده تم تأسيس الدولة السعودية الأولى ، وتم أغلب الفتوحات فملك بلاد نجد جميعها ، والأحساء ، ودخلت

جيوشه الحجاز واستولى على مكة على يد قائده وابنه سعود ، وبسط نفوذه على جهات البحرين ، ووصلت جيوشه إلى قلب العراق ، فهدمت قبر الحسين فى كربلاء ، واستولت على كنوزه .

فكان ذلك سبباً فى أن اغتاله أحد الشيعة العراقيين انتقاماً منه لما صنعته جيوشه بقبر الحسين المقدس فى نظر الشيعة ، وطعنه وهو يصلى الصبح فى مسجد الطريف بالدرعية فى رجب سنة ١٢١٨ هـ [1] . ومات عبد العزيز متأثراً بجراحه بعد أن عود العرب الطاعة والنظام ، وبعد أن زعزع عرش الدولة العثمانية .

٣ — سعود بن عبد العزيز الملقب بسعود الكبير

حكم من سنة { ١٢١٨ ـ ١٢٢٩ هـ
١٨٠٣ ـ ١٨١٤ م

وقد كان صاحب أقوى شخصية بين أمراء الدولة السعودية الأولى ، وفى عهده بلغت الدولة عصرها الذهبى ، ووصلت إلى الذروة فى القوة ؛ فتقرر حكمه فى الحجاز ، وضم عمان والبحرين إلى أملاكه ، وتسابق أمراء العرب إلى تقديم الطاعة له حتى إمام صنعاء ، وشيخ حضر موت . وهو وإن كان قد شهد غزو جيوش محمد على باشا الكبير والى مصر لبلاده ، فقد مات وهو يشعر بالقوة ،

---

(١) راجع ص ٧٦ ـ ٧٧ ج ١ من « عنوان المجد فى تاريخ نجد » .

ولم يكن يخطر على باله ما حل بدولته بعد وفاته. وقد كانت وفاته بالدرعية .

ومما يستحق منا أن ننوّه بذكره على وجه الخصوص طريقة سعود الكبير فى الحكم والعمل على استتباب النظام والأمن ؛ فهو على الرغم من أنه كانت له بعض الأخطاء ، مثل سلوكه سبيل الشدة دائما فى تنفيذ الأوامر ومعاملة الخصوم ، الأمر الذى كانت له نتائجه السيئة فيما بعد ؛ على الرغم من هذه الأخطاء ، فقد كانت السياسة التى وضعها وسار عليها سعود الكبير فى حكم شعبه البدوى وفى ضبط النظام واستتباب الأمن فى البادية من أحكم السياسات وأبعدها خطراً ، إذ أنه لجأ فى ذلك إلى طريقة نستطيع أن نسميها طريقه التضمين فى المسئولية والحكم ، وذلك أنه جعل زعيم كل ناحية مسئولا شخصياً أمامه عن كل حادثة تقع فى منطقته ، ثم أشركه فى الضمان والمسئولية مع الزعماء الآخرين — زعماء المناطق المجاورة له من كل الجهات — عن الحوادث التى تقع فى مناطقهم المجاورة . فكان بذلك كل زعيم موضعى مسئولا بالأصالة عما يحدث فى منطقته ، وبالتضامن عما يقع فى المناطق المجاورة لمنطقته . وبهذه الطريقة استطاع سعود الكبير أن يضبط الأمور ، وأن يقيم دعائم الأمن والسلام فى الجزيرة العربية مدة حكمه .

٤ — عبد الله بن سعود الكبير

حكم من سنة { ١٢٢٩ — ١٢٣٣ هـ / ١٨١٤ — ١٨١٨ م

بويع لعبد الله بالإمارة بعد وفاة والده فى الوقت الذى كان محمد على باشا

يحاربهم فيه بأمر حكومة الخلافة العثمانية ، ويحاول القضاء على دولتهم [١] فكانت مهمة الحكم ليست بالسهلة ، خصوصاً وعبدالله لم تكن له الشخصية القوية ولا الدراية الحربية التي كانت لسعود الكبير ، الأمر الذي كان سبباً في طمع عمه عبد الله بن محمد بن سعود في الحكم ورفعه علم العصيان ، ثم في خروج بعض زعماء القبائل النجدية عليه . فتحرجت الأمور وساءت الأحوال حتى انتهت بسقوط الدولة السعودية الأولى بعد انتصار القائد المظفر إبراهيم باشا وهدمه للدرعية . وكانت نهاية الأمير السعودي القتل بالأستانة بعد أن أسر ورُحِّل إليها عن طريق مصر كما قدمنا .

على هذا الوجه انتهى العصر الأول للدولة السعودية ، وقبل أن نتحدث عن العصر الثاني نود أن ننبه إلى الطريقة التي اتبعها أمراء البيت السعودي

---

(١) يعلل بعض المؤرخين مثل فؤاد حمزة في « قلب جزيرة العرب » ص ٣٣٣ ، تكليف الحكومة العثمانية لمحمد علي بحرب السعوديين بأنها « كانت تريد كذلك أن تتخلص من محمد علي باشا في مصر ، فولته ولاية جده أملا في دفعه وإقصائه عن مصر ، وكان قصدها اصطياد عصفورين بحجر واحد » . وسواء أصح هذا أم لم يصح فإنا نظن أن محمد علي باشا سره هذا التكليف ، وقد كان في سبيل تمكين نفوذه ونشره في المناطق الهامة المجاورة لمصر.

ولقد كان تكليف الحكومة العثمانية لوالي مصر بهذه المهمة في سنة ١٢٢٢ هـ ، فاستغرق إعداد الحملة لغاية سنة ١٢٢٦ هـ ، وفي هذه السنة وصلت الجيوش المصرية إلى ينبع واحتلتها ثم استردت مكة والمدينة والطائف في سنة ١٢٢٨ هـ ، وبعد حروب وخسائر كبيرة للجانبين عقد القائد المصري طوسون باشا صلحا مع عبدالله بن سعود الكبير في سنة ١٢٣٠ هـ ، ثم عاد إلى مصر . وفي سنة ١٢٣١ هـ جهز محمد علي باشا جيشا آخر بقيادة إبراهيم باشا وأرسله ثانية إلى الجزيرة العربية ، وبعد حروب طاحنة وخسائر فادحة انتصر إبراهيم باشا على السعوديين وأسر أميرهم وقضى على دولتهم في سنة ١٢٣٣ هـ .

وحكامه من مبدأ قيام دولتهم مع أبنائهم وأولياء عهدهم وخلفائهم من بعدهم ، تلك الطريقة التى تلفت النظر وتستحق الإعجاب . وذلك أنهم درجوا جميعا على إشراك أبنائهم ـ خصوصاً المرشحين منهم للحكم بعدهم ـ معهم فى إدارة الشئون . وتحمل أعباء الحكم حتى يتمرنوا بذلك على تصريف الأمور ويستعدوا للاستقلال بحمل الأعباء ، وحتى يكونوا أهلا لحماية الدعوة حينما يؤول الأمر إليهم . فكان عبد العزيز بن محمد بن سعود قائداً لجيوش والده ، ومعيناً له فى تحمل أعباء الحكم ؛ وكذلك كان سعود الكبير مع والده عبد العزيز ؛ كما كان عبد الله مع والده سعود الكبير .

وهى فى الحق خطة سليمة وطريقة حكيمة يتضح لنا خطرها خصوصاً إذا ما وازنا بينها وبين ما كان متبعا مع أمراء البيت العباسى فى عصور الضعف للدولة العباسية ، حيث كان هؤلاء الأمراء يحال بينهم وبين الاشتراك فى الحياة العامة ، فيودعون فى بيت محمد بن طاهر ببغداد ويعتقلون فيه ؛ فإذا شاء القدر لأحد منهم وجلس على عرش الخلافة العباسية ، جلس عليه وهو غير أهل له ، فتفسد بذلك الأمور ، وتضعف الدولة وتسوء الأحوال .

ولا تزال تلك الطريقة السعودية الموفقة التى تكلمنا عنها تتبع فى الدولة السعودية الحديثة ، يتبعها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مع الأمراء من أنجاله الكرام .